مجلة سوسيولوجيون P-ISSN: 2716-9170
المجلد: **السابع**، العدد: **01**، السنة **2026** E-ISSN: 2773-3459

معوقات البحث في العلوم الاجتماعية بين متطلبات الموضوعية ومقتضيات الذاتية

Obstacles to Research in Social Sciences: Between the Requirements of Objectivity and the Imperatives of Subjectivity

د. هلال الحبسي*، جامعة الشرقية (عُمان) ، hilal@alhabsi@asu.edu.om

تاريخ الإرسال: 2026/06/22 تاريخ القبول: 2026/07/27 تاريخ النشر: 2026/07/31

ملخص:

تركّز المقالة على دراسة المعوقات التي تحول دون نجاح تحقق وجود الموضوعية الدراسات الاجتماعية. يدور التساؤل الرئيسي للدراسة حول مدى إمكانية تحقق الموضوعية والذاتية في ظل وجود التحديات؟

تبرز المقالة جهود العلماء بتاريخ العلوم الاجتماعية نحو وضع اليات عملية لتلافي صعوبات تحقق المسألة وإضفاء الطابع العلمي للدراسات الاجتماعية، مع الاستدلال على ممارسات الباحث من خلال خبراته في العمل بميدان الدراسات الاجتماعية.

المسألة هي ليست صراع بين ثنائيات (الموضوعية/الذاتية) بقدر ما هو نقاش علمي جاد نحو الوصول الى تحديد دقيق للحدود بين المسألتين، ووضع اطر منهجية مرجعية للبحث العلمي بالعلوم الاجتماعية.

وخلصت الدراسة إلى أن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تختلف مفهوما وتطبيقا عن مثيلتها في العلوم الطبيعية، وأن عدم قدرتنا عن تجاوز ذواتنا ورغباتنا وقيمنا وميولنا واعتقاداتنا في دراسة الموضوعات الإنسانية هو بحد ذاته اختلاف يميز هذه العلوم عن العلوم الطبيعية. ونجاحنا في تحقق المسألة بالاعتماد على المعايير التي تساعدنا على التقيد بالموضوعية العلمية في البحث مع الإبقاء على قدراتنا ومهاراتنا الذاتية حاضرة في انتاجنا البحث.

الكلمات المفتاحية: الموضوعية، الذاتية، العلوم الاجتماعية، البحث العلمي.

* المؤلف المرسل

Abstract (in English):

This article focuses on examining the obstacles that hinder the successful achievement of objectivity in social studies. The central question of the study revolves around the extent to which objectivity and subjectivity can be achieved in light of these challenges.

The article highlights the efforts of scholars throughout the history of social sciences to develop practical mechanisms for overcoming the difficulties in achieving objectivity and to scientificize social studies. It draws upon the researcher's own experiences working in the field of social studies to illustrate this point.

The study concludes that objectivity in the humanities and social sciences differs in concept and application from its counterpart in the natural sciences. Our inability to transcend our own selves, desires, values, biases, and beliefs when studying human subjects is itself a distinguishing characteristic of these sciences. Our success in achieving objectivity depends on adhering to standards that help us maintain scientific objectivity in research while preserving our subjective abilities and skills in our research output.

Keywords: Objectivity, subjectivity, social sciences, scientific research

مقدمة:

تحتل مسألة الموضوعية والذاتية في الدراسات الاجتماعية حيزاً مهما يشغل بال الباحثين، لأنها مسألة تقييمية لمصداقية الدراسات ذاتها، وتخضعها للمعايرة المنهجية، بحيث تكمن فيها مصداقية الدراسات من عدمه. لذا يكون الأمر بالغ الحساسية لدى الباحثين المشتغلين في حقل الدراسات الاجتماعية بالذات، ذلك لأن مسألة التحقق من ضوابط الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية غير خاضعة لحدود واضحة لعدة اعتبارات، منها يتعلق بالقصور النسبي في مناهج البحث العلمي وأدواته بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنها ما يتعلق بصعوبة الظاهرة المدروسة في التخصصات الاجتماعية كون الباحث جزء من الظاهرة ذاتها أو مرتبط بها، ولصعوبة التحكم بالظاهرة المدروسة وإخضاعها للتجربة المخبرية.

بالنسبة للقصور النسبي لمناهج وأدوات البحث، هي تعتمد على ذاتية الباحث من حيث دقة استخدامها وكيفية تطبيقها، على سبيل المثال اختيار نوعية المنهج في البحث يحدده الباحث وفقا لخبرته العلمية، صحيح أن موضوع البحث يفرض على الباحث أن يحدد نوعية المنهج، لكن ذاتية الباحث (خبرته البحثية) يعوّل عليها في دقة اختيار المنهج. وكذلك الأمر بالنسبة لأدوات البحث هي الأخرى تعتمد كثيرا على ذاتية الباحث أكثر من المسألة الموضوعية، حيث إن أدوات البحوث الاجتماعية ليست معيارية، وإنما ذاتية الباحث من تحدد نوعية ومقتضيات الأدوات المستخدمة في البحث، وأيضا طريقة تطبيقها في ميدان البحث تعتمد بشكل أساسي على ذاتية الباحث وقدرته على استعمال الأدوات البحثية كالمقابلة والملاحظة، فهي ترتكز على ذاتية الباحث دون الخضوع للمعايير الموضوعية.

وبالنسبة لتعقد الظاهرة البحثية في العلوم الاجتماعية، أيضا هي تتأرجح بين مسألة متطلبات الموضوعية ومقتضيات الذاتية، فهي ليست كالظاهرة الطبيعية يمكن اخضاعها للتجربة بالمختبر، والتحكم في العوامل والظروف المحيطة بالظاهرة، وكذلك لا تقبل إعادة تشكلها من جديد لمزيد من الملاحظة والتحقق من المعطيات من خلال تكرار حدوثها. أيضا بحكم أن الظواهر بالدراسات الاجتماعية تفرض على الباحث التعامل مع الظاهرة بمزيج من الاشتباك بين الموضوعية والذاتية، هل يكون خارج الظاهرة ويكون من خارج مجتمع البحث لكي يكون موضوعي؟ أم يكون جزء من مجتمع البحث وبالتالي جزء من الظاهرة ليستطيع فهم الظاهرة من الداخل؟

يهدف المقال إلى توضيح مسألة الذاتية والموضوعية في الدراسات الاجتماعية، ومدى إمكانية تحقيق الموضوعية والبعد عن الذاتية بقدر الإمكان، من خلال الإجابة على التساؤلات الرئيسة في الدراسة:

- هل مقتضيات النزعة العلمية مرهونة بقدراتنا على تحقيق الموضوعية وتحييد الذات؟
- هل موثوقية العلوم الاجتماعية تتحقق في ظل تحديات هذه المسألة؟

لهذا طرحت مسألة الموضوعية والذاتية في الدراسات الاجتماعية، هل تتشابه مع ذات المسألة بالعلوم الطبيعية؟ وسوف نقوم بمناقشتها استنادا على الرأي العلمي للاتجاهات النظرية بالعلوم الاجتماعية، ومن خلال تجاربنا البحثية التي عملنا عليها بالحقل الأكاديمي.

1. الإشكال المفاهيمي

نركّز في معالجتنا المفاهيمية على توضيح الأبعاد المحيطة بمصطلحي الموضوعية والذاتية بالعلوم الاجتماعية، ومدى اختلافها عن مثيلاتها بالعلوم الطبيعية. حيث يرتكز الفهم العام لهذه المسألة بالعلوم الاجتماعية بسعي الباحث لتوصيف الظاهرة المدروسة بموضوعية تامة دون إسقاط لآرائه أو معتقداته أو خلفيته الثقافية، وأن يعتمد في تحليلاته واستنتاجاته على القراءة العلمية الدقيقة لمعطيات وبيانات الدراسة ذاتها، بعيدا عن التأثر بالآراء التي سبقته، ملتزما بالحياد الفكري. بول ريكور في وصفه للموضوعية والذاتية في التاريخ يُعزيها في الفكر المنهجي وتنظيمه وفهمه، وما يمكنه، بهذه الكيفية، أن يجعله مفهوما. وهذا صحيح بالنسبة إلى العلوم الفيزيائية، والعلوم البيولوجية، وصحيح أيضا بالنسبة إلى التاريخ. وبالنتيجة، ننتظر من التاريخ أن يرتقي بماضي المجتمعات البشرية إلى مقام الموضوعية. وهذا لا يعني أن هذه الموضوعية هي موضوعية الفيزياء أو البيولوجيا: هناك مستويات من الموضوعية بقدر ما هناك من المسالك المنهجية. وإذن، ننتظر من التاريخ أن يضيف إقليما جديدا إلى الإمبراطورية المتنوعة للموضوعية (ريكور، 2024، ص:5).

1.1 الموضوعية:

الفكرة الأساسية لمفهوم الموضوعية هي أن ما يقدمه الباحث العلمي من تفسير مبني على وقائع البحث العلمي وعملياته، متحرياً الأمانة العلمية في التفسير ومنضبطاً بالحياد التام للوصول الى الحقائق التي العلمية الدقيقة ويظهرها في الدراسة العلمية لتكون إنجازا علميا موثوقا بعيدا عن أي مزايدات شخصية أو تحيزات فكرية أو تدخل غير مهني أثناء عمليات البحث. بحيث يعتمد على المنهج العلمي والادوات البحثية المتحقق منها، ومنضبطا بقواعد البحث العلمي، بحيث يمكن للباحثين الآخرين التحقق منها لمعايرتها موضوعيا وعلميا. بصورة أخرى "هي عزل ما يؤثر على الباحث في التزامه بالواقع (قنصوه، 2007، ص:66). ويتم توصيفها بأنها "معالجة الظواهر باعتبارها أشياء لها وجود خارجي مستقل عن وجود الإنسان، والشيء الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الافراد الملاحظين مهما اختلفت الزاوية التي يلاحظون منها، والباحث الذي يتحرى الموضوعية في الدراسة يتناول الظاهرة كما هي في صورتها الواقعية، الحياد التام وعدم التحيز (الجبالي، 2011، ص: 54). وهي قياس الرغبة والقدرة على فحص الأدلة بنزاهة وتجرد . إنها الشرط الأول في البحث. اذن هي التعامل مع الحقائق بدون تحيز او اصدار احكاماً قيمية. فالنتائج يجب أن تكون خالية من المعتقدات الشخصية، والحب والكره، فكلا البيانات والتحاليل يفترض ان لا تكون متحيزة (الضامن، 2007، ص: 120). ويمكن أن نفصّل تحقيق الموضوعية بالشرطين التاليين:

• يجب أن تكون المعرفة العلمية والباحثين أنفسهم ان لا يخضعوا لتأثير أفكارهم الفردية وخلفياتهم الثقافية، أو وجهات النظر السابقة، أو الأحكام القيمية، أو اهتماماتهم الشخصية. بل لهم أن يستثمروا تلك المعرفة وتوظيفها في فهمهم لجوانب قضية البحث العلمي، بشرط ألا يكونوا حبيسين لتلك الأفكار فقط.

• الموضوعية العلمية تعتبر شرط أساس للبحث العلمي، وهي سبب مهم لتحقيق المصداقية للمعرفة العلمية.

1.2 الذاتية:

تُشير إلى قدرة الذات على إدراك وتفسير الظواهر، كما تُعد الذاتية أساسًا للوعي والمعرفة التي يكتسبها الانسان بناءً على قدرته في الفهم والاستيعاب وبالتالي توظيفها في بناء فهمه الخاص للمعرفة، لذا تعني أن الباحث يوظّف قدراته الذهنية وخبراته المعرفية في التفسير والتحليل وبناء الاستنتاجات العلمية. فالذاتية هنا بطبيعتها لا بد ان تكون مرتبطة بتحيزات الباحث الشخصية، كالتحيزات المعرفية، والتحيزات الثقافية، والتحيزات الأيدلوجية، هذه التحيزات هي منطلقات فكرية يستند عليها الباحث في فهمه وتفسيراته العلمية، ولا يمكن بأي حال إنكارها لأنها تعكس شخصية الباحث على الإنتاج المعرفي.

فالذاتية ببساطة تعي أن الباحث انسان بشري، له عقل يدرك به وله ذات يفكّر بها ويفهم بها ما حوله من منظوره هو، وترى الذاتية بان الفرد كائنًا عاقلًا وواعيًا ومدركًا لذاته كفرد وقادر على التصرف كشخص حر، والذاتية تؤخذ على انها تتعلق بموضوع ما، او وجهة نظر او نظرة الشخص الفردية إلى العالم. وينسب الذاتي إلى الذات، بمعنى أن ذات الشيء هو جوهره وهويته وشخصيته، ويعبر عما به من شعور وتفكير، والعقل أو الفاعل الإنساني هو المفكر وصاحب الإرادة الحرة، ويدرك العالم الخارجي من خلال مقولات العقل الإنساني (المسيري، 2025).

تستخدم الذاتية اليوم على نطاق واسع وأصبح لديها الكثير من المعاني، التعريف الادق للذاتية هو الافكار والمعتقدات والرغبات التي تشكل هوية الباحث الذاتية، وتنعكس هذه على الإنتاج المعرفي الذي يقدمه الباحث، مراعيا فيه الجوانب الموضوعية للبحث العلمي.

• بمعنى حضور ذات الباحث وشخصيته في مهارات تحليل البحث العلمي.
• ثقافة الباحث العلمية وخبراته وقدراته على التفسير، والتحليل، والاستقراء، والاستنباط.
• وجوب التنوع المعرفي والاستناد لآراء الاختصاصيين في المجالات المتداخلة مع موضوع الدراسة (الدراسات البينية).

- الانتباه من الوقوع في فخ أحادية النظرة والتفسير اعتمادا على القدرات الذاتية.
- التأهيل العلمي المناسب للباحث، وصقل مهاراته بخبرات كافية.
- تدخل ذاتية الباحث في الدراسة العلمية يجب أن تكون منضبطة وفقا للمعايير العلمية.

1.3 - تداخل المفهومين في العلوم الاجتماعية

بعكس العلوم الطبيعية، التعامل مع الموضوعية والذاتية في العلوم الاجتماعية لا يمكن فصله كمفهومين متعارضين كلياً، بل هما متداخلين، ويقتضي التعامل معهما بقدر متساوٍ، وهنا تكمن مهارة الباحث العلمي عندما يستطيع التعامل مع المسألتين بقدر من الانضباط المتوازن لتتحقق الاشتراطات القياسية لعمليات البحث العلمي الرصين. لذا ظهرت مفاهيم وسيطة لتجسّد هذا الاشتباك والتداخل في المسألة بحسب فلسفة كارل بوبر، مثل:

الموضوعية النسبية: أي الإقرار بأن المعرفة ليست محايدة تمامًا، بل مشروطة تاريخيًا وثقافيًا.

الذاتية الواعية: حيث يدرك الباحث موقعه الذاتي ويسعى إلى تحييده أو تفسير أثره على البحث (الخولي، 2020، ص: 220).

1.4 نماذج لجدلية الموضوعية والذاتية

اقترح ماكس فيبر الفصل بين الحكم القيمي والتحليل العلمي، مؤكدًا أن الباحث يمكن أن ينطلق من قيم معينة لاختيار موضوعه، لكن عليه أن يلتزم بالحياد في التحليل. كما تبنى منهج "الفهم التفهمي" لفهم المعاني الذاتية للفاعل الاجتماعي (فياض، 2025).

كما أكد بيير بورديو أن الباحث لا يمكن أن يتجنب ذاتيته، لكنه يستطيع التحكم فيها من خلال الانعكاسية الذاتية (Reflexivity)، أي وعيه بموقعه الاجتماعي والمعرفي وتحليله له ضمن البحث (لكعشمي، 2025).

مع ذلك؛ يتم في الدراسات العلمية التعامل مع المفهومين على أنهما متعاكسين، بمعنى أن تكون الذاتية عكس الموضوعية، وببساطة ينظر إلى الموضوعية على انها معيار فيصلي لاكتشاف غياب التحيز العلمي، بينما الذاتية ضمنيًا تعادل التحيز، وفي بحوث العلوم الطبيعية، ينظر إلى الموضوعية على انها عنصر اساسي في اجراء البحث العلمي وإعادة توجيه الفهم العام لمجال ما، وعلى نحو ذلك، يجب ان تكون الذاتية محدودة لأقصى حد في هذا البحث كي يتم تعميمه فيما يتعلق بالنتائج، عندما يكون

البشر جزء من طريقة بحث تجريبية، فسينظر إليهم على انهم اشياء يجب مراقبتها وملاحظتها بدلًا من انهم كائنات تفكر، وهذا الأمر يمكن تحقيقه من خلال التجارب المخبرية التي يخضع لها البشر، كبحوث التجارب الطبية والأدوية. بينما في بحوث العلوم الاجتماعية الأمر معقدا جدا، بحيث لا يمكن الفصل بين المفهومين، مقتضيات الموضوعية أساسية في تحقيق الصفة العلمية للبحث بالمقابل المهارات الذاتية والمعرفة العلمية للباحث هي من تساعد في فهم وتفسير الظاهرة، لذلك لا يمكننا فهم المصطلحين بصورة منفصلة عن بعضهما.

2. حدود الموضوعية والذاتية في البحث العلمي بالتخصصات الاجتماعية

النقاشات المركزية في فلسفة العلم تدور أغلبها في مقتضيات الموضوعية في البحث العلمي، لذا وضعت حدودا معيارية للموضوعية العلمية تتمثل في التأكيد ومشكلة الاستقراء، اختيار النظرية ومنهج البحث العلمي، الواقعية، التفسير العلمي، القياس والتقدير، دليل إحصائي قابلية إعادة الانتاج، العلم المسند بالدليل، كلها امثلة لحدود الموضوعية العلمية، لذلك فإن فهم دور الموضوعية في العلم هو جزء لا يتجزأ من فهم هذه النقاشات بشكل كامل، ومن المستحيل تقدير مفهوم الموضوعية العلمية دون التطرق لهذه المواضيع وأخذ فكرة عنها. لكنها تبقى مسألة تحققها رهنا لذاتية الباحث وتقديره لهذه الحدود المعيارية، كل جزئية منها تخضع لتقديرات الباحث الذاتية، الاستقراء مثلا مرتبط بالثقافة المعرفية للباحث، حيث إن قدراته المعرفية هي من توجهه في دقة الاستقراء، كلما كان الباحث واعي علميا وثقافته عميقه، انعكس ذلك على طريقته في الاستقراء الدقيق. الأمر ينسحب أيضا على المعايير الأخرى، كاختيار النظرية العلمية ومنهج البحث الملائم للدراسة، فهي مسألة تقديريه لذات الباحث. "إن الذاتية هي مؤهل عام جدًا للتجربة الإنسانية، والذاتية هي احد اهم مجالات الاستقصاء النفسي شهرةً وبحثًا، واحد الروابط المهمة التي وضعها المفسرون لهذا الموضوع هو ان الذاتية والموضوعية في صورة الجسد هما امرين منفصلين، حيث يكون هناك موضوعية في الخارج، وذاتية من الداخل، لكن هذا الامر في الواقع غير صحيح، لان الاثنين لا ينفصلان، ومن المستحيل لاي شخص ان يبلغ وجهة نظر موضوعية او ذاتية منعزلة بالكامل او موضوعية بحتة لان الشخص لا يستطيع ان يفلت من إدراكه الخاص ولا يمكن لاحد ان يتصف بالذاتية فقط ولا يتأثر بالإشارات الاجتماعية من حوله والتأكيدات من الآخرين(Objectvity vs, 2025). وتؤكد رينيه بوفريس بأن المعرفة المتعلقة بموضوع الإنسان تظل مشبعة بالذاتية ولا تملك أن تكون محايدة أو موضوعية، حيث تؤكد أنه من المستحيل مبدئيا أن تتمكن العلوم الإنسانية بلوغ موضوعية مطلقة أو على الأقل التخلي عن جزء من أهدافها والاكتفاء بدراسة المظاهر الأولية من الحقيقة أو الواقعة الإنسانية(الفراك، 2020، ص:57).

في العلوم الاجتماعية ترتبط إشكالية الموضوعية والذاتية بالاتجاهات النظرية التي يتبناها الباحث والمنهج العلمي ونوع الأسلوب الذي يتبناه الباحث في التفسير والتحليل، لذلك المنطلقات النظرية ونوعية المنهج تحكم في التفكير الاجتماعي، فكل اتجاه نظري أو تيار فكري يتعامل مع هذه الإشكالية بشكل مختلف بحسب تصوره لطبيعة الواقع الاجتماعي والطبيعة المعرفية لموضوع الدراسة وكذلك علاقة الباحث ذاته بالموضوع، هل هو من ضمن مجتمع الدراسة أو من خارجها. لذلك تتلاشى الحدود الفاصلة بين الموضوعية والذاتية، ومما يساهم في ذلك عدد من العناصر نشخصها في التالي:

- تعقد الظاهرة الاجتماعية؛ تجعل من مسألة وجود حدود بين الموضوعية والذاتية تحديا صعبا، بحكم تداخل ظاهرة البحث مع ظواهر أخرى ولا يمكن الفصل بينهما، وهنا يقتضي الأمر تدخل ذاتية الباحث في فهم وتحليل هذا التداخل، مما يوجب التدخل الذاتي رغم الاعتبارات الموضوعية التي يتطلبها البحث العلمي.
- قصور أدوات القياس العلمية بالتخصصات الإنسانية؛ هذه الأدوات تعتمد بشكل كبير على ذاتية الباحث ومهارته في دقة اختيار نوعية الأداة وطريقة تصميمه له، فالاستبانة البحثية على سبيل المثال، وإن كانت تخضع لاختبارات الصدق والثبات، إلا أن تصميمها والتعامل معها مرهون بمهارات الباحث وأيضا أمانته العلمية وقدرته على التخلص من تحيزاته الأيدلوجية.
- شخصية الباحث؛ انعكاسها واضح جدا على هوية البحث، رغم الضوابط الموضوعية إلا أن البحوث العلمية في العلوم الإنسانية هي انعكاس لشخصية الباحث، حيث تتضح تماما آراءه الفكرية والأيدلوجية وتحيزاته خصوصا الدينية.

وللخروج من هذه المسألة، ظهرت عدد من الاتجاهات الفكرية في العلوم الاجتماعية التي تتعامل مع الإشكالية بمنحى مختلف، وكلا له نظرته في كيفية التعامل مع إشكالية حدود الموضوعية والذاتية.

- **المدرسة الوضعية (Positivism)**

ظهرت مع بدايات نشأة علم الاجتماع على يد أوجيست كونت، أول من نادى بتطبيق المنهج العلمي بالفيزياء في دراسة الظواهر الاجتماعية، وأسماها بالفيزياء الاجتماعية، مشترطا ضرورة التعامل بموضوعية تامة في الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية. الاتجاه الوضعي بشكل عام يرى أن الموضوعية أمر يمكن تحقيقه، وهي بمثابة شرطا لإثبات علمية الدراسة، والتعامل مع الذاتية على أنها معوق منهجي يجب اقصائه والتخلص منه من خلال الفصل التام بين الموضوعية والذاتية. المدرسة الوضعية تعرضت للانتقاد "كونها تفرض حيادا غير واقعي في السياقات الاجتماعية، وتسعى لتعميمات غير ملائمة للواقع الإنساني المتداخل والمعقد(مسعود، 2021، ص: 95).

- **المدرسة التفسيرية (Verstehen)**

ظهرت مع عالم الاجتماع ماكس فيبر، حيث قدّم اتجاها جديدا للتفسير السوسيولوجي مبني على فهم الفعل الاجتماعي، والتمييز بين الاحكام القيمية والتحليل القيمي للدراسة الاجتماعية للظواهر. وهذا الاتجاه يُعزّز الذاتية ويفرضها عنصرا حاسما في التفسير العلمي لواقع التفاعل الاجتماعي والإنساني. رغم الانحياز لذاتية الباحث إلا أن المدرسة التفسيرية ترى بوجوب الموضوعية من خلال تمسك الباحث بالضوابط المنهجية وأمانته في تقديم التفسير الملائم للفعل الاجتماعي.

- **المدارس النقدية وما بعد الحداثة**

تمثل مدرسة فرانكفورت هذا التيار الفكري الذي كسر الإطار المحدود للمدرستين الوضعية والتفسيرية، لتضيف مساحة ذات حرية أوسع من التقيد بالأطر المقيدة لمسألتي الموضوعية والذاتية، حيث تجاوز منهجها قضايا السلطة، والأيدلوجيا، والهيمنة الثقافية. لتحرر الباحث من القيود المفروضة على مسألة الذاتية. حيث تعتبر المعرفة ليست محايدة، بل محكومة بالبنى السلطوية. وتشكك في إمكانية وجود علم اجتماعي موضوعي منفصل عن السياسة والقيم، لذا تدعو إلى عقلانية تواصلية بدلا من عقلانية الأدوات (بوتومور، 2004، ص: 206). ولاحقا ظهرت ما بعد الحداثة لدى كلا من ميشيل فوكو وبودريار ولاكان، مواقف أكثر تشكيكاً في ثبات معايير الموضوعية والذاتية، حيث رفضوا هذه الثنائيات مؤكدين على تعدد الحقيقة وعدم ثباتها على مركز معرفي واحد. لذلك فتح المجال واسعا أمام الذاتية كجزء من عملية إنتاج المعرفة.

3. تحديات الموضوعية والذاتية في البحوث العلمية بالتخصصات الاجتماعية

جدلية الموضوعية والذاتية ليست محصورة في النقاش النظري لدى المفكرين والفلاسفة، بل هي معضلة عملية في إنتاج المعرفة العلمية بالتخصصات الاجتماعية. بحكم تعقد موضوع الدراسة وأيضا ما يتعلق بالباحث ذاته. "تدور معظم الصعاب بموضوع العلوم الإنسانية وهو الإنسان والمجتمع، حول القضية الأساسية القائلة بتفرده، وما يتصل بهذا التفرد من تعقيد وعفوية، وحرية إرادة وجدة، وسرعة تغير .. وغيرها مما يفضي إلى تعذر استخلاص التعميمات من تقلب سلوكه، والتنبؤ به، وإجراء التجارب عليه وخضوعه للقياس (قنصوه، مرجع سابق، ص: 52). والتحديات لا تتوقف على الباحث ذاته أو موقعه في البحث، وإنما أكثر صعوبة مع موضوع الدراسة في العلوم الاجتماعية، ونفصّلها بالنقاط التالية:

- **عدم التجانس**

العلاقات التي تنظم الظواهر الاجتماعية تختلف عن مثيلاتها في العلوم الطبيعية، حيث بالعلوم الطبيعية علاقات سببية ويمكن قياساها بمصطلحات عددية كالحرارة والضغط والمسافات، بينما بالعلوم الاجتماعية الأمر لا يمكن اخضاعه للقياس الموضوعي، فظاهرة الطلاق في مجتمع محلي ما ليست متجانسة مع نفس الظاهرة في مجتمع محلي آخر مجاور له. وهذا يقودنا للتحدي التالي.

- **التفاوت في التعميم والتخصيص**

عدم تجانس الظواهر الاجتماعية محل الدراسة البحثية، يمثل تحديا موضوعيا في صحة التعميمات العلمية وأيضا استطاعتنا على تخصيص التفسيرات على أسباب معينة دون غيرها. والعلم الموضوعي يتحقق مع وجود التعميمات العلمية، وهذا تأكيد على المصداقية العلمية، بحيث يمكن استخدام النتائج العلمية وتعميمها على الظواهر المتشابهة إذا كان الإنتاج العلمي رصيناً ومتبعاً للمعايير الموضوعية.

- **التعلق بالزمان والمكان**

الظواهر الاجتماعية هي رهينة بالمكان والزمان، لأنها من تدبير البشر، لذلك تكرارها وحدوثها في أزمنة وأمكنة مختلفة؛ ليست نسخة ثابته وليس تكرارها يعني بنفس أسباب حدوثها وعوامل تشكّلها. لذا تشكّل عائق أساس أمام إمكانيات العلوم الاجتماعية في تطوير النظرية العلمية والوصول للتعميمات العلمية الرصينة.

- **الشك والمصداقية**

الشك والمصداقية ناتج من التفاوت في التفسير من باحث لآخر نتيجة لاختلاف ذاتية الباحث، وأحيانا نفس الباحث تتغير قناعاته وآراءه البحثية مع اختلاف الزمان والمكان، مما يشكل تحديا حول مصداقة البحوث العلمية، هذا التذبذب يحدث في ظل الابتعاد عن المعايير الموضوعية، ويتنامى أكثر مع الاعتماد على الذاتية.

4. هل نستطيع تحييد الذات عن الرأي العلمي في البحوث العلمية؟

من خلال ما سبق استعراضه؛ هل يمكننا تحييد الذات عن الرأي العلمي فعلاً؟ وهل مقابل ذلك أننا نلتزم بمعايير الموضوعية؟ هذه الثنائية المعقدة هي أهم تحديات البحث العلمي لدى التخصصات

الاجتماعية، لكن الفصل بينهما خطأ منهجي، لذلك سعت المدارس الفكرية بالعلوم الاجتماعية لتجاوز ذلك من خلال تقديم مسارات بديلة، مناهج وسطية، مفاهيم مبتكرة، ومقاربات نقدية تقبل الذاتية دون أن تقصي الجوانب الموضوعية.

على عكس المدارس التقليدية (الوضعية والتفسيرية) أسهمت المدارس الحديثة على تجاوز هذه الثنائية، فالفكر البنيوي لدى ميشيل فوكو وجاك دريدا، دعوا الى كسر الثنائيات (عقل/ عاطفة، ذات/موضوع، خطاب/واقع) كذلك أسلفنا سابقا عن إسهامات كارل بوبر عن الموضوعية النسبية (Situated Objectivity) والذات الواعية (Reflexive Subjectivity) عبر تجاوز معضلة الثنائية والعمل بكل معرفة بحسب موضعها.

ولعل أبرز طرق تجاوز المسألة المعقدة، التعدد المنهجي (Methodological Pluralism)، عبر المزج بين الاسلوبين الكمي والنوعي، هذه التقنية البحثية تعيد للبحوث العلمية في العلوم الاجتماعية ثباتها الموضوعي، وبنفس القدر هي مساحة لإثبات قدرات الباحث الذاتية. مهارة التحليل الكمي تعتمد على ذاتية الباحث وقدراته المعرفية وفي ذات الوقت الدالة الإحصائية تعطينا مؤشر موضوعي دقيق. فالتكامل المنهجي بين الموضوعي والذاتي، يُعد متطلب أساسي وضروري لدقة نتائج البحوث العلمية.

- الحياد: الحياد ليس في الرأي العلمي فقط، وإنما تسبقه حيادية في اختيار الأداة البحثية والبحث النظري وتحديد مصادر البيانات؛
- الأمانة: الأمانة العلمية تلزم الباحث ببذل أقصى درجات الرؤية لموضوع البحث، اكتشاف العلاقات المتشابكة، والتصور الخلاق للتفسير والتحليل؛
- الخبرة: تتجلى خبرة الباحث وأهميتها عند تناوله تليل معطيات البحث، بالمزج بين الاسلوبين الكمي والنوعي.

5. الخاتمة: كيف لنا تحقيق متطلبات الموضوعية، مع الإيفاء بالضرورات الذاتية؟

لنا أن نتساءل في الأخير كيف لنا تحقيق متطلبات الموضوعية، مع الإيفاء بالضرورات التي تحتمها وجود الذاتية؟ ما قدمته الاتجاهات النظرية في فلسفة البحث العلمي جديرا بالمصادقة عليه كنموذج علمي يحقق لنا المتطلبات الموضوعية مع تقدير الذاتية النسبية في الإنتاج العلمي. المسألة هي ليست صراع بين ثنائيات (الموضوعية/الذاتية) بقدر ما هو نقاش علمي جاد نحو الوصول الى تحديد دقيق

للحدود بين المسألتين، ووضع اطر منهجية مرجعية للبحث العلمي بالعلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة.

نخلص من ذلك إلى أن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تختلف مفهوما وتطبيقا عن مثيلتها في العلوم الطبيعية، وأن عدم قدرتنا عن تجاوز ذواتنا ورغباتنا وقيمنا وميولنا واعتقاداتنا في دراسة الموضوعات الإنسانية هو بحد ذاته اختلاف يميز هذه العلوم عن العلوم الطبيعية (غربي، 2025، ص: 21).

وختاما نضع بعضا من المعايير التي تساعدنا على التقيد بالموضوعية العلمية في البحث مع الإبقاء على قدراتنا ومهاراتنا الذاتية حاضرة في انتاجنا البحث، على النحو التالي:

- وعي الباحث بطبيعة الحقائق التي يريد قياسها وتفسيرها
- الحياد القيمي في التفسير والتحليل
- إتباع الطرق المنهجية والالتزام بمتطلبات قواعد المنهج العلمي
- الأخذ بمبدأ التكامل المنهجي (الكم/الكيف)
- إشراك المشاركين في تحليل البيانات، دمقرطة إنتاج المعرفة
- استخدام أساليب متعددة (Triangulation) تقوية مصداقية النتائج.

6. الاشكال والجداول

شكل رقم (1) يوضح دور خبرة الباحث العلمي في الحفاظ على توزان متطلبات الموضوعية وذاتية الباحث



المصدر: من اعداد الباحث

- **قائمة المراجع**

- ريكور، بول (2024)، ترجمة: عبدالله كسابي، الموضوعية والذاتية في التاريخ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- قنصوه، صلاح(2007)، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1.
- الجبالي، حسن(2011)، مناهج البحث في علم النفس: الأسس والمبادئ – المناهج والأدوات، مكتبة الانجلو المصرية.
- الضامن، منذر(2007)، أساسيات البحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، ط: 1.
- الفراك، أحمد(2020)، الوجيز في الفلسفة، مطبعة دار القلم، الرباط، ط: 2.
- القاسم، ميادة مصطفى (2021)، مسألة الموضوعية والذاتية في البحوث الاجتماعية (دراسة سوسيولوجية تحليلية)، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس، العدد التاسع، يوليو 2021.
- الخولي، يمنى طريف (2020)، فلسفة كارل بوبر: منهج العلم .. منطق العلم، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.
- مسعود، الباقر عمر السيد (2021)، الوجيز في الفلسفة، مكتبة نور، ط: 2.
- المسيري، عبد الوهاب، الموضوعية والذاتية، الموضوعية والذاتية - د. عبد الوهاب المسيري، تاريخ الدخول: 30 يوليو 2025م
- بوتومور، توم (2004)، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجراس، دار أويا، ليبيا، ط: 2.
- غربي، الحواس، البحوث الإنسانية والاجتماعية بين الموضوعية والذاتية – البحث التاريخي انموذجا، https://www.scribd.com/document/611363974 ، تاريخ الدخول: 29 /2025/8
- فياض، حسام الدين، منهجية الفهم والتفسير عند ماكس فيبر، حسام الدين فياض - منهجية الفهم والتأويل عند ماكس فيبر، تاريخ الدخول: 31 يوليو 2025م.
- لكعشمي، عثمان، السوسيولوجيا الانعكاسية عند بيير بورديو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث - السوسيولوجيا الانعكاسية عند بيير بورديو، تاريخ الدخول: 31 يوليو 2025م
- Objectivity vs. Subjectivity, and Walking the Line Between Them، تاريخ الدخول: 12 أغسطس 2025